

جمهورية مصر العربية

□ ٢٩ من ذي الحجة ١٤٣٧ هـ □

وزارة الأوقاف

□ ٣٠ من سبتمبر ٢٠١٦ م □

(١)

الهجرة تحول إيجابي نحو البناء والتعمير وكريم

الأخلاق

ولا مجال للهجرة غير الشرعية في الإسلام .

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه : { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد

فإن من الأحداث العظيمة الفارقة التي وقعت في تاريخ الإسلام والمسلمين حادث الهجرة ، الذي ظل وسيظل محفوراً في أعماق التاريخ يؤكد على اقتران الإيمان بالعمل ، وعلى أهمية الأخذ بالأسباب مع حسن التوكل على الله عز وجل .

لقد كان للهجرة النبوية الشريفة دور كبير وأثر بارز في تغيير مسار الدعوة الإسلامية وانتشارها ؛ إذ بالهجرة تحقق موطن حقيقي للإسلام ينطلق منه إلى شتى بقاع الأرض ، يحمل راية التوحيد والأمن والأمان والسعادة للبشرية كلها ، فلم تكن الهجرة حدثاً عابراً في تاريخ الدعوة الإسلامية أو حتى في تاريخ البشرية كلها ، ولم تكن حدثاً شخصياً يرتبط

(٢)

بحياة النبي (صلى الله عليه وسلم) فقط ؛ بل كانت الهجرة حدًّا فاصلا بين عهد الضعف والانكسار، وعهد العزة والكرامة والانتصار .

إننا اليوم في حاجة أن نأخذ من ماضيها لحاضرنا ، ونعتبر بمرور الأيام والأحداث ، ونتدبر أحداث الهجرة النبوية ونتائجها ، ونستلهم منها الدروس والعبر التي أكدت على انتظام سنن الله الكونية في انتصار الحق على الباطل ، والبناء على الهدم ، وأسست لبناء دولة الإسلام على العدل والعلم والعمل ، والحرية والإخاء والمساواة ، ورعاية الحقوق والواجبات والتعايش السلمي بين البشر جميعًا على اختلاف أعراقهم وأديانهم ؛ مما ينبغي أن نأخذ منه العبرة والقوة في تعايشنا السلمي والتحام نسيجنا الوطني دون إقصاء أو تمييز في الحقوق والواجبات على أساس الدين أو اللون أو العرق ، غير أن الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان انتهت بعد فتح مكة ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ؛ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ) ، ولما أسلم صفوان بن أمية ، جاء مهاجرًا إلى المدينة ، فقال له النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (مَا جَاءَ بِكَ يَا أَبَا وَهْبٍ؟) . قَالَ : قِيلَ : إِنَّهُ لَا دِينَ لِمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : (ارْجِعْ أَبَا وَهْبٍ إِلَى أَبَاطِحِ مَكَّةَ ... فَقَدْ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ) .

(٣)

إننا اليوم في أمس الحاجة إلى هجرة حقيقية إلى الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) دون ترك للأوطان ؛ بل بالحفاظ على الأوطان وفدائها بالنفس والنفيس، نحتاج إلى هجرة الذنوب والمعاصي ، والمنكرات خوفاً من الله (عز وجل) ، وحياء منه ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ) ، وسئل النبي (صلى الله عليه وسلم) : أي الأعمال أفضل؟ قال:(طُوبَى الْقِيَامِ). قيل: فأَي الصدقة أفضل؟ قال: (جَهْدُ الْمُقِلِّ). قيل: فأَي الهجرة أفضل؟ قال: (مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ..)، وسألت أُمَّ سَلِيمٍ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فقالت: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَوْصِنِي. قَالَ: (اهْجُرِي الْمَعَاصِي ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْهِجْرَةِ ، وَحَافِظِي عَلَى الْفَرَائِضِ ، فَإِنَّهَا أَفْضَلُ الْجِهَادِ ، وَأَكْثَرِي ذِكْرَ اللَّهِ ، فَإِنَّكَ لَا تَأْتِينَ اللَّهَ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِهِ) .

كما أننا في حاجة إلى أن نهجر الغش ، والاحتكار ، والكذب ، وأن نهجر الفساد ، والهدم والتخريب ، إلى الأمانة والصدق في سائر المعاملات ، وإلى التكافل والتراحم ، فقد نهانا النبي (صلى الله عليه وسلم) عن الغش بكل أنواعه ، كما نهانا عن الاحتكار أو أن نشق على الناس في أي من أمور حياتهم، فقال (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِيٌّ) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (اللَّهُمَّ ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي

(٤)

شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ، فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ ،
فَارْفُقْ بِهِ).

كما أننا في حاجة إلى هجرة البطالة والكسل بكل أنواعهما
وأسبابهما ، إلى العمل والإنتاج ، والجد والاجتهاد ، وأن نغزو الصحراء
لنعمرها ، وأن نستثمر الطاقات ، ونقتحم العقبات والمصاعب ، فقد بين
القرآن الكريم أهمية العمل في الحياة تحقيقاً للاستقرار ، فقال الحق
سبحانه وتعالى : { وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ
وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } ، وأعلى
النبي (صلى الله عليه وسلم) من قدر العامل المنتج فقال : (مَا أَكَلَ أَحَدٌ
طَعَامًا قَطُّ ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ) ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلٍ يَدِهِ) ، وقوله (صلى الله عليه وسلم) : (لَنْ
يَحْتَطَبَ أَحَدُكُمْ حُرْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا ، فَيُعْطِيَهُ
أَوْ يَمْنَعَهُ) ، وبين النبي (صلى الله عليه وسلم) ثمرة العامل المجد في
عمله بقوله : (مَنْ أَمْسَى كَالاً مِنْ عَمَلٍ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ).

كما أننا في حاجة إلى هجرة توقظ الضمائر ، وتحيي القلوب ،
هجرة من سيئ الأخلاق والعادات إلى كريمها وصالحها ، ومن آفات
اليد واللسان وحمل السلاح وترويع الآمنين ، وظلم النفس والغير ،
والاعتداء على المال العام والخاص ، وأكل الأموال بغير حق ، والإفساد

(٥)

في الأرض وغيرها إلى مراقبة الله (عز وجل) في العبادات والمعاملات ، في البيع والشراء ، في القول والعمل ، فمفهوم الهجرة بعد الفتح يعني أن نهجر السوء بكل أشكاله ، وأن نهجر إلى الله بقلوبنا وأجسادنا ، وأن لا نسيئ إلى الإسلام بأفعالنا وتصرفاتنا الخاطئة ؛ بل أن يعمل كل منا على أن يكون صورة مشرقة مشرفة للإسلام والمسلمين .

أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم .
الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أكدنا أن الهجرة الحقيقية تعني التحول من المعاصي إلى تقوى الله (عز وجل) ، ومن سيئ الأخلاق إلى كريمها وصالحها ، ومن الإفساد والتخريب إلى البناء والإصلاح والتعمير ، ومن البطالة والكسل إلى الإنتاج والعمل ، غير أن هناك نوعين من الهجرة غير المشروعة وغير الشرعية ، وكلاهما ذهاب إلى الهلكة ، أما الأولى : فهي الذهاب إلى الجماعات الإرهابية الضالة المضلة تحت وهم الجهاد الكاذب ، وهذه الجماعات لا علاقة لها لا بالجهاد ، ولا بالهجرة ، ولا بالإسلام على الإطلاق ؛ بل كل ذلك منهم براء .

أما النوع الثاني الذي يؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة : فهو خرق القوانين والتشريعات المنظمة لعلاقات الدول ، حيث يعمد بعض الناس

إلى الهجرة والتسلل عبر البحار والمحيطات والصحراء والجبال ، مع ما في ذلك من انتهاك للقوانين التي تنظم التعامل والعلاقات بين الدول ، وتحافظ على الحقوق والواجبات ، كما أن هذه الهجرة فيها إهلاك للنفس وربما قتلها ، والله (عز وجل) حرم ذلك بقوله تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ..}.

فالإسلام أمرنا بالحياة الكريمة ، ونهانا عن الحياة الذليلة ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ). قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: (يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ) ، ذلك أن المهاجرين غير الشرعيين يعرضون أنفسهم لأمرين : الأول : هو الهلاك ، والثاني: هو المهانة إن نجوا من الهلاك ، وأشد منهم جرماً هؤلاء المتاجرون بمعاناتهم في عملية أشبه ما تكون بتجارة البشر ؛ مما يتطلب جهوداً وطنية ودولية للعمل معاً على إزالة الأسباب المؤدية إلى هذه الهجرة من خلال العمل على توفير فرص العمل والحياة الكريمة المستقرة للناس في أوطانهم ، والضرب بيد من حديد على يد كل من يُعرّض حياة الناس للخطر أو يتاجر بمعاناتهم وآمالهم وأمانهم ، ويجب أن نعمل جميعاً على تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى شبابنا عن الهجرة وأن نؤكد لهم بأن هذه الهجرة التي يمكن أن تؤدي إلى الهلكة ليست من الإسلام في شيء ، وإن أردتم هجرة حقيقية فلتكن هجرة إلى

(٧)

العمل الجاد بالطرق المشروعة ، إلى عمارة الصحراء والمناطق النائية ؛
لاستخراج كنوزها وإعمارها ، فمصر في حاجة إلى عقول أبنائها
وسواعدهم ، وجهدهم وخبراتهم للبناء ، وبما يحقق لهم ولذويهم الحياة
الكريمة مع التأكيد على أن الإيمان بالقضاء والقدر لا يعني أبداً إلقاء
النفس إلى التهلكة .

اللهمّ حقق لبلادنا الأمن والأمان ، وارزقنا الاستقرار والرخاء ،
واهْدنا لصالح الأخلاق لا يهدي لصالحها إلا أنت ، واصرف عنا سيئ
الأخلاق لا يصرف عنا سيئها إلا أنت ، وصلّ اللهم وسلم على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم .